4

الحافة
لقاء مع الموت

أجاثا كريستي
سي بي جيلفورد

ترجمة: محمد عبد العزيز





الحافة

أجاثا كريستي

سارت «كلير هاليويل» عبر الطريق القصير الذي يقود من باب كوخها إلى البوابة. حملت بيدها سلة، وفي تلك السلة كانت هناك زجاجة حساء، وبعض الجيلي منزلي الصنع، وبعض العنب.

لم يكن هناك الكثير من الفقراء في قرية «دايميرز إند» الصغيرة، ولكن الموجودين هناك يتم الاعتناء بهم بجدية، وكانت «كلير» هذه واحدة من أكثر عمال الرعية كفاءة.

كانت «كلير هاليويل» في الثانية والثلاثين من عمرها،وتملك جسدًا قويًا، وبشرة جميلة، وعينين بنيتين جذابتين. لم تكن جميلة، لكنها بدت منتعشة وسعيدة وإنجليزية للغاية. أحبها الجميع، وقالوا إنها كانت فتاة جيدة. منذ وفاة والدتها، قبل عامين، عاشت بمفردها في الكوخ مع كلبها «روفر». كانت ترعى الدواجن، ومولعة بالحيوانات، وتتمتع بحياة صحية في الهواء الطلق.

عندما فتحت البوابة، مرت سيارة ذات مقعدين بقربها، ولوحت لها السائقة، وهي فتاة ترتدي قبعة حمراء، بالتحية. ردت «كلير» تحيتها بمثلها، ولكن لبرهة شعرت بشفتيها تتقلصان. شعرت بألم في قلبها، وهو الألم الذي يجيء دائمًا عندما ترى «فيفيان لي»، زوجة «جيرالد»!

كان قصر «ميدينهام جرانج»، والذي يقع على بعد ميل واحد فقط خارج القرية، ينتمي إلى آل «لي» لعدة أجيال. كان السير «جيرالد لي»، المالك الحالي لـ«جرانج»، رجلًا شابًا، واعتبره

الكثيرون قاسيًا للغاية، لكن الحقيقة هي أن قوته هذه تخفي تحتها قدرًا كبيرًا من الخجل. لقد لعب هو و«كلير» معًا في طفولتهما. في وقت لاحق أصبحا صديقين، وكان الكثيرون يتوقعون ارتباطًا أقوى بينهما، زواجًا مثلًا، ويمكن القول أن «كلير» نفسها توقعت هذا.

لم يكن هناك عجلة بالطبع، ولكن لا بد أن الأمر سيحدث في يوم من الأيام... ثبتت تلك الفكرة في عقلها. لكن في يوم ما، قبل عام واحد فقط، اندهشت القرية كلها بنبأ زواج السير «جيرالد» من الآنسة «هاربر»، وهي فتاة لم يسمع بها أحد من قبل!

لم تكن السيدة «لي» الجديدة معروفة في القرية. لم يكن لها نفس اهتماماتهم، وكانت تشعر بالملل من الصيد، وتكره البلدة والرياضات الخارجية. هز العديد من الحكماء رؤوسهم وتساءلوا كيف ستنتهي تلك العلاقة. كان من السهل رؤية من أين جاء افتتان السير «جيرالد» بها، فقد كانت «فيفيان» جميلة. كانت على النقيض تمامًا من «كلير هاليويل» من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، ضئيلة الجسد، رشيقة، بشعرها الذهبي الأحمر الملتف بشكل ساحر فوق أذنيها الجميلتين، وعينيها البنفسجيتين الواسعتين الساحرتين.

كان «جيرالد لي»، بسذاجته الرجالية، حريصًا على أن تكون زوجته و«كلير» صديقتين حميمتين. غالبًا ما كان يُطلب من «كلير» تناول العشاء في قصر «جرانج»، وكانت «فيفيان» تتظاهر بأن بينهما بصداقة حميمة كلما التقيتا.

ومن هنا جاءت تحيتها المرحة لها هذا الصباح!

مشت «كلير» وقامت بمهمتها. كان النائب يزور أيضًا المرأة العجوز المعنية وسار هو و«كلير» لبعض المسافة معًا بعد ذلك قبل أن يفترق طريقهما. وقفا صامتين لدقيقة لمناقشة شؤون الرعية. قال النائب:

- أخشى أن «جونز» قد انهار مرة أخرى. وكان لدي الكثير من الآمال بعد أن تطوع من تلقاء نفسه بالتعهد بعدم الاقتراب من أي خمر للأبد..

قالت «كلير» بحدة:

- كم هذا مقزز!

قال السيد «ويلموت»:

- يبدو الأمر هكذا بالنسبة لنا، لكن يجب أن نتذكر أنه من الصعب جدًا أن نضع أنفسنا في مكانه ونفهم الإغراء الذي تعرض له الرغبة في الشرب غير مسيطرة بالنسبة لنا، ولكن لدينا جميعًا إغراءاتنا الخاصة، وبالتالي يمكننا فهمها

قالت «كلير» في حيرة:

- أفترض هذا.

نظر إليها النائب. قال بلطف:

- من حسن حظ البعض منا أن يتعرضوا للقليل من الإغراءات. ولكن حتى بالنسبة لهؤلاء الناس، تأتي الاختبارات. اسهري وصلِّي لئلا تدخلي في تجربة وتقعي في الاختبار.

ثم قام بتوديعها، ومشى بعيدًا بسرعة. استمرت «كلير» في التفكير، وانشغلت به لدرجة أنها كادت أن تصطدم بالسير

«جيرالد لي». حياها بقوله:

- مرحبا يا «كلير». كنت أتمنى أن أصادفك. تبدين في أحسن حال.

لم تشعر أنها في أحسن حال على الإطلاق، لكنها سمعته يتابع:

- كما قلت، كنت أتمنى أن أصادفك. يجب أن تسافر «فيفيان» إلى «بورنماوث» لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، لأن والدتها ليست على ما يرام. هل يمكنك تناول العشاء معنا الثلاثاء بدلًا من الليلة؟

- نعم بالتأكيد! الثلاثاء يناسبني.

- هذا جيد. رائع. لا بد لي من الرحيل الآن. وداعًا.

ثم عادت «كلير» إلى المنزل لتجد مدبرة المنزل المخلصة تجلس على عتبة الباب تنظر نحوها.

- ها أنتِ ذا يا آنسة. هناك الكثير وراءنا لفعله. لقد أحضروا «روفر» إلى المنزل. لقد تسلل من المنزل هذا الصباح، ودهسته سيارة!

أسرعت «كلير» إلى جانب الكلب. كانت تعشق الحيوانات،وكان لـ«روفر» مكانة خاصة فيقلبها. تحسست ساقيه واحدة تلو الأخرى، ثم مررت يديها على جسده. أصدر أنينًا مرة أو مرتين ولعق يدها. قالت أخيرًا:

- إذا كانت هناك إصابة خطيرة، فهي داخلية. لا يبدو أن العظام مكسورة.

- هل نطلب من الطبيب البيطري رؤيته يا آنسة؟

هزت «كلير» رأسها نفيًا. كان لديها القليل من الثقة في الطبيب البيطري المحلي.

- سننتظر حتى الغد. لا يبدو أنه يعاني من ألم شديد، ولثته جيدة اللون، لذلك لا يمكن أن يكون هناك الكثير من النزيف الداخلي. إذا لم يعجبني مظهره غدًا، فسوف آخذه إلى «سكيبينجتون» في السيارة وأدع «ريفز» يقوم بإلقاء نظرة عليه. إنه أفضل طبيب بالرغم من أنه بعيد.

بدا «روفر» أضعف صحة في اليوم التالي، ونفذت «كلير» ما انتوته على النحو الواجب. كانت بلدة «سكيبينجتون» الصغيرة على بعد حوالي أربعين ميلًا، وهي مسافة طويلة، لكن «ريفز»، الطبيب البيطري هناك، كان ذا شهرة كبيرة امتدت لعدة أميال. قام بتشخيص بعض الإصابات الداخلية، لكنه كان يعلق آمالًا كثيرة على الشفاء، ورحلت «كلير» وهي راضية لترك «روفر» في عهدته.

كان هناك فندق واحد فقط في «سكيبينجتون»، وهو فندق «كاونتي آرمز». ارتاده المسافرون التجاريون بشكل أساسي، لأنه لم يكن هناك بلد جيد للصيد بالقرب من «سكيبينجتون»، وكان بعيدًا عن مسار الطرق الرئيسية لسائقي السيارات.

لم يتم تقديم الغداء حتى الساعة الواحدة، ولأنها كان أمامها بضع دقائق قبل حلول تلك الساعة، استمتعت «كلير» بإلقاء نظرة خاطفة على العملاء الوافدين على المكان في دفتر توقيع العملاء المفتوح.

وفجأة صُعِقت عندما رأت خط اليد المألوف هذا!

هي بالتأكيد تعرف خط انحناءاته المميزة. لطالما اعتبرته خطًا لا لبس فيه. لكن المفترض أن «فيفيان لي» في «بورنماوث». أظهر تاريخ التوقيع بالدفتر أمامها أن الأمر مستحيل: السيد والسيدة «سيريل براون»، من لندن، موجودين هنا الآن. لكن على الرغم من نفسها، فقد جالت عيناها مرارًا وتكرارًا على تلك الكتابة المتعرجة، وبدافع من عدم قدرتها على تحديدها تمامًا، سألت فجأة المرأة الجالسة خلف مكتب الاستقبال:

- السيدة «سيريل براون» هنا؟ أتساءل عما إذا كانت هي من أعرفها.

- سيدة ضئيلة الجسد؟ شعر محمر؟ جميلة للغاية. لقد جاءت في سيارة حمراء ذات مقعدين يا سيدتي. سيارة «بيجو» على ما أعتقد.

إذن فهي المرأة الموجودة فعلًا! صدفة مميزة للغاية. كما لو كانت في حلم، سمعت المرأة تقول:

- لقد كانا هنا منذ أكثر من شهر بقليل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، وقد أحبا ذلك كثيرًا لدرجة أنهما عادا مرة أخرى. متزوجين حديثًا على ما أعتقد.

سمعت «كلير» نفسها تقول:

- شكرًا لك. لا أعتقد أنها يمكن أن تكون صديقتي.

بدا صوتها مختلفًا، كأنه يخص شخصًا آخر.

جلست في غرفة الطعام، تأكل بهدوء لحم البقر المشوي البارد،

وعقلها يحوي عاصفة من الأفكار والمشاعر المتضاربة.

لم يكن لديها شك على الإطلاق. لقد وصفت «فيفيان» بشكل صحيح. وهي كان لديها حدس أن «فيفيان» من تلك النوعية. تساءلت عن هوية الرجل. شخص ما عرفته «فيفيان» قبل زواجها؟ على الأرجح -لا يهم- لا شيء مهم، لكن «جيرالد». ما الذي يجب أن تفعله -«كلير»- حيال «جيرالد»؟ يجب أن يعرف، بالتأكيد يجب أن يعرف!

كان من الواضح أن من واجبها أن تخبره. لقد اكتشفت سر «فيفيان» بالصدفة، لكن يجب ألا تضيع الوقت قبل أن تقوم بإخبار «جيرالد» بالحقائق. فهي صديقة «جيرالد»، وليست صديقة «فيفيان». لكنها شعرت بعدم الارتياح بطريقة أو بأخرى. لم يرض ضميرها. ظاهريًا، كان دافعها لإخباره جيدًا، لكن الواجب والعاطفة قفزا معًا بنفس الاتجاه بشكل مريب. اعترفت لنفسها بأنها لا تحب «فيفيان»!

بالإضافة إلى ذلك، إذا طلق «جيرالد» زوجته ولم يكن لدى «كلير» أي شك على الإطلاق في أن هذا هو بالضبط ما سيفعله، فقد كان رجلًا يتمتع بنظرة متعصبة لشرفه -إذن- حسنًا، سيكون الطريق مفتوحًا لكي يأتي «جيرالد» إليها. عندما رأت الموضوع بهذه الطريقة، تراجعت إلى الوراء بضيق. بدا عملها المقترح قبيحًا وفاسدًا وحقودًا. تدخل العنصر الشخصي كثيرًا. لم تكن متأكدة من دوافعها.

«كلير» في الأساس امرأة سامية وواعية. لقد جاهدت بجد لمعرفة أين يكمن واجبها. كانت تتمنى، كما تمنت دائمًا، أن تفعل الصواب.

لكن ما هو الصواب في هذه الحالة؟ وما هو الخطأ؟ من خلال الصدفة البحتة، حصلت على حقائق تؤثر بشكل حيوي على حياة الرجل الذي تحبه والمرأة التي لا تحبها، و-نعم، قد يكون المرء صريحًا أيضًا- التي كانت تشعر بغيرة شديدة منها. بوسعها أن تدمر تلك المرأة. لكن السؤال هو هل لديها الحق في فعل ذلك؟

لطالما كانت «كلير» تنأى بنفسها عن الغيبة والفضيحة التي هي جزء لا مفر منه من حياة القرية. كانت تكره الشعور بأنها تشبه الآن إحدى تلك الغيلان البشرية التي طالما زعمت أنها تحتقرها. وفجأة، ومضت كلمات النائب في ذلك الصباح في ذهنها: «ولكن حتى بالنسبة لهؤلاء الناس، تأتي الاختبارات». هل كان هذا هو اختبارها؟ هل كان هذا هو إغراءها؟ هل جاء متنكرًا بشكل ماكر كشعور بالواجب؟ كانت «كلير هاليويل» مسيحية تقية، مغرمة بالحب والإحسان مع جميع الرجال والنساء. إذا كانت ستخبر «جيرالد»، فعليها أن تكون متأكدة تمامًا من أن الدوافع غير الشخصية فقط هي التي وجهتها.

في الوقت الحاضر لم تقل شيئًا. دفعت فاتورتها من أجل وجبة الغداء وذهبت بعيدًا، وشعرت بخفة لا توصف في روحها. في الواقع، شعرت بسعادة أكبر مما كانت عليه لفترة طويلة. شعرت

بالسعادة لأنها امتلكت القوة لمقاومة الإغراء، ولا تفعل شيئًا لئيمًا أو لا يستحق. فقط لثانية واحدة، ومضت في ذهنها فكرة أنه قد يكون إحساسًا بالقوة هو الذي رفع من معنوياتها بتلك الطريقة، لكنها رفضت تلك الفكرة ووصفتها بأنها خيالية للغاية.

بحلول ليلة الثلاثاء كانت أقوى في تصميمها. الإغراء لا يمكن أن يسيطر عليها. يجب أن تلتزم الصمت. جعل حبها السري لـ«جيرالد» الكلام مستحيلًا، أم ربما كان ذكاءً وقوة شخصية من جانبها؟

ربما؛ لكنه كان الحل الوحيد الممكن بالنسبة لها وقتها.

وصلت إلى «جرانج» في سيارتها الخاصة الصغيرة. كان سائق السير «جيرالد» عند الباب الأمامي ليقودها إلى الجراج بعد أن نزلت، حيث كانت الليلة ممطرة.

كان قد ذهب لتوه بالسيارة عندما تذكرت «كلير» بعض الكتب التي استعارتها وأحضرتها معها لتعيدها. نادت ولكن الرجل لم يسمعها. ركض الخادم خلف السيارة. لذلك ظلت «كلير» وحدها في القاعة لمدة دقيقة أو دقيقتين، بالقرب من باب غرفة الرسم التي فتحها الخادم للتو قبل أن يستقبلها. ومع ذلك، لم يعرف من كانوا داخل الغرفة شيئًا عن وصولها، ولذا كان صوت «فيفيان» عالي النبرة -ليس صوت سيدة راقية تمامًا- وكان واضحًا ومميزًا:

- أوه، نحن ننتظر فقط «كلير هاليويل». لا بد أنك تعرفها -تعيش في القرية- من المفترض أن تكون واحدة من حبيبات «جيرالد» القديمات، لكنها غير جذابة بشكل مخيف حقًا. بذلت قصارى جهدها لإيقاع «جيرالد» في حبائلها، لكنه لم يقع لحسن

الحظ.

ثم خيم صمت لثوانٍ، قبل أن تقول:

- أوه، نعم يا حبيبي.

كان هذا ردها على احتجاج خفيض الصوت من زوجها. أكملت:

- كانت تحاول هذا فعلًا، قد لا تكون على دراية بالحقيقة لكنها بذلت قصارى جهدها. «كلير» العجوز المسكينة! امرأة صالحة، لكن بلهاء للغاية!

شحب وجه «كلير» كالموتى، وظلت يداها معلقتين على جانبيها، وقد انقبضت الأصابع في غضب كما لم يحدث لها من قبل.

في تلك اللحظة كان من الممكن أن تقتل «فيفيان لي». استعادت السيطرة على نفسها فقط بجهد بدني فائق. هذا، بالإضافة لأنها قررت أن تقوم بمعاقبة «فيفيان» على تلك الكلمات القاسية!

عاد كبير الخدم بالكتب. فتح الباب، وأعلن عن وصولها، وفي اللحظة التالية كانت تحيي غرفة مليئة بالناس بأسلوبها اللطيف المعتاد.

كانت «فيفيان»، التي ارتدت ملابس أنيقة للغاية تتكون من ثوب له لون النبيذ الداكن الذي أظهر بشرتها البيضاء، حنون ولطيفة بشكل خاص معها، كالأفعى التي تدور حول فريستها في بطء!

كانت «فيفيان» ستتعلم لعبة الجولف، ويجب على«كلير»

المجيء معها كان «جيرالد» منتبهًا ولطيفًا للغاية على الرغم من أنه لم يكن لديه شك في أنها سمعت كلمات زوجته، إلا أنه كان لديه شعور غامض أنه يجب أن يقوم بتعويضها كان مغرمًا جدًا بـ«كلير»، وتمنى لو لم تقل «فيفيان» الأشياء التي قالتها. كان هو و«كلير» صديقين لا أكثر وإذا كان هناك أدنى شك في ذهنه بأنه كان يتهرب من الحقيقة في تلك العبارة الأخيرة، فقد أبعده عن ذهنه.

بعد العشاء، اتجه الحديث عن الكلاب، وروت «كلير»حادثة «روفر».

انتظرت عن قصد فترة هدوء في المحادثة لتقول:

- .... لذلك أخذته يوم السبت إلى «سكيبينجتون».

وهنا سمعت خشخشة مفاجئة بفنجان قهوة «فيفيان لي» على طبقه، لكنها لم تنظر إليها، ليس الآن.

- لرؤية ذلك الرجل المدعو «ريفز»؟

- نعم. أعتقد أنه سيكون بخير. تناولت الغداء في «كاونتي آرمز» بعد ذلك. إنها حانة صغيرة لطيفة.

التفتت الآن إلى «فيفيان» لتسألها في براءة:

- هل مكثتِ هناك من قبل؟

إذا كانت لديها أي شكوك، فقد تبخرت بتلك اللحظة. جاءت إجابة «فيفيان» سريعة، أسرع من اللازم ربما:

- أنا؟ أوه! لا ، لا.

كان الخوف في عينيها. كانتا واسعتين وغريبتين حينماالتقتا بعيني «كلير». أما عينا «كلير» فلم تكشفا شيئًا. كانتا هادئتين للغاية. لا أحد من الممكن أن يحلم بالسرور الشديد الذي اختفى داخل أعماقها. في تلك اللحظة كادت «كلير» أن تغفر لـ«فيفيان» الكلمات التي سمعتها بالخطأ في وقت سابق من المساء.

لقد ذاقت في تلك اللحظة إحساس القوة الذي كاد أن يدير رأسها.

صارت تحمل «فيفيان لي» بين مخالبها!

في اليوم التالي، تلقت رسالة من المرأة: هل يمكن أن تأتي «كلير» وتتناول الشاي معها بعد ظهر ذلك اليوم؟ رفضت «كلير». ثم جاءتها «فيفيان» في منزلها. جاءت مرتين في ساعات كان من شبه المؤكد أن تكون «كلير» في المنزل.

في المرة الأولى، كانت «كلير» في الخارج حقًا، وأما في الثانية، تسللت من الباب الخلفي عندما رأت «فيفيان» تقترب من بابها الأمامي. قالت لنفسها: «إنها ليست متأكدة بعد ما إذا كنت أعرف أم لا. إنها تريد أن تكتشف دون أن تكشف نفسها. لكن هذا لن يحدث، ليس حتى أكون جاهزة».

لم تكن «كلير» نفسها تعرف ما كانت تنتظره. كانت قد قررت أن تلتزم الصمت، فقد بدا لها أن هذا هو المسار الوحيد المستقيم والمشرف. شعرت ببريق إضافي للفضيلة عندما تذكرت الاستفزاز الشديد الذي تلقته. بعد سماع الطريقة التي تحدثت بها «فيفيان» عنها خلف ظهرها، شعرت أن الشخصية الأضعف ربما قد تتخلى عن قراراها الأول. ذهبت مرتين إلى

الكنيسة يوم الأحد. الأولى لطقس المناولة، والذي خرجت منه قوية وبمعنويات مرتفعة. لا ينبغي أن يثقلها أي شعور شخصي، لا شيء دنيء أو تافه. ذهبت مرة أخرى إلى الخدمة الصباحية.

دارت موعظة السيد «ويلموت» عن صلاة الفريسي الشهيرة. وصف لهم حياة ذلك الرجل الصالح، عمود من أعمدة الكنيسة. وصور آفة الكبرياء الروحية البطيئة الزاحفة التي شوهت كل ما كان عليه. لم تستمع «كلير» باهتمام شديد. كانت «فيفيان» وسط أفراد عائلة «لي»، وكانت «كلير» تعلم بالفطرة أنها تنوي الإمساك بها بعد ذلك، وهو ما حدث بالحرف.

التصقت «فيفيان» بـ«كلير»، وعادت إلى المنزل معها، وسألت عما إذا كان بإمكانها الدخول. وافقت «كلير» بالطبع. جلستا في غرفة جلوس «كلير» الصغيرة، المشرقة بالزهور والأثاث قديم الطراز. كانت لهجة «فيفيان» مترددة وكلامها مفكك.

قالت:

- كنت في «بورنماوث»، في نهاية الأسبوع الماضي.

قالت «كلير»:

- أخبرني «جيرالد» بذلك.

نظرتا إلى بعضهما البعض. بدت «فيفيان» مختلفة المظهر اليوم. كان لوجهها نظرة حادة وماكرة سلبتها الكثير من سحرها. بدأت «فيفيان» حديثها:

- عندما كنتِ في «سكيبينجتون»....

- عندما كنت في «سكيبينجتون»؟

كررت «كلير» الجملة بهدوء. أكملت «فيفيان»:

- كنتِ تتحدثين عن فندق صغير هناك.

- نعم. فندق «كاونتي آرمز».. قلتِ أنكِ لا تعرفينه، صحيح؟

- أنا... كنت هناك مرة واحدة.

- آوه!

كان عليها فقط أن تبقى ساكنة وتنتظر. كانت «فيفيان»غير مؤهلة لتحمل أي نوع من الضغط. بالفعل كانت تنهار تحتها. فجأة انحنت إلى الأمام وتحدثت بحدة:

- أنتِ لا تحبينني. لم تحبيني قط. كنتِ دائمًا تكرهينني. أعرف أنكِ تستمتعين الآن، تلعبين معي مثل قطة مع فأر. أنتِ قاسية بلا قلب. هذا هو سبب خوفي منكِ، لأنكِ قاسية في أعماقك.

قالت «كلير» بحدة:

- حقًا يا»فيفيان»!

- أنتِ تعرفين، أليس كذلك؟ بلى، أستطيع أن أرى أنكِتعرفين. كنتِ تعرفين تلك الليلة، عندما تحدثتِ عن «سكيبينجتون». لقد اكتشفتِ الأمر بطريقة ما. حسنًا، أريد أن أعرف ماذا ستفعلين حيال ذلك؟ ماذا ستفعلين معي؟

لم ترد «كلير» لمدة دقيقة، وقفت «فيفيان» على قدميها:

- ماذا ستفعلين؟ يجب أن أعلم. لن تنكري أنكِ تعرفين كل شيء عن ذلك؟

قالت «كلير» ببرود:

- لا أنوي إنكار أي شيء.

- هل رأيتِني هناك في ذلك اليوم؟

- لا. رأيت خط يدك في دفتر العملاء. السيد والسيدة «سيريل براون».

احمر وجه «فيفيان»، بينما تابعت «كلير» بهدوء:

- منذ ذلك الحين، قمت ببعض الاستفسارات. وجدت أنكِ لم تكوني في «بورنماوث» في نهاية الأسبوع. والدتك لم ترسل لكِ لتحضري قط. حدث نفس الشيء بالضبط قبل حوالي ستة أسابيع.

غرقت «فيفيان» مرة أخرى على الأريكة. انفجرت في البكاء الغاضب، بكاء طفل خائف، سألت:

- ماذا ستفعلين؟



كانت تلهث. أكملت:

- هل ستخبرين «جيرالد»؟

قالت «كلير»:

- لا أعرف بعد.

شعرت بالهدوء والقوة.

جلست «فيفيان»، ودفعت ضفائر شعرها الحمراء خلف أذنها قبل أن تسأل «كلير»:

- هل تودين أن تسمع القصة كاملة؟

- لا بأس بذلك، على ما أعتقد.

سكبت «فيفيان» القصة كاملة على مسامعها بلا تحفظ.

«سيريل براون» كان «سيريل هافيلاند» في الحقيقة، مهندسًا شابًا كانت مخطوبة له سابقًا. تدهورت صحته وفقد وظيفته، ومن ثم لم يكن لديه أي مشكلة في هجر «فيفيان» المفلسة والزواج من أرملة غنية تكبره بعدة سنوات. بعد ذلك بوقت قصير، تزوجت «فيفيان» من «جيرالد لي». قابلت «سيريل» مرة أخرى بالصدفة. كان هذا هو اللقاء الأول بينهما، وتبعه العديد من الاجتماعات. ازدهرت حياة «سيريل» المهنية، مدعومًا بأموال زوجته، وأصبح شخصية معروفة. لقد كانت قصة بذيئة، قصة لقاء في الخفاء، قصة عن كذب ودسائس بلا انقطاع. كررت «فيفيان» مرارًا وتكرارًا وهي تتأوه:

- أنا أحبه كثيرًا.

وفي كل مرة كانت الكلمات تشعر «كلير» بالإعياء. في النهاية انتهت القصة. تمتمت «فيفيان» بخجل:

- حسنًا؟ ماذا ستفعلين؟

ردت «كلير»:

- لا أستطيع أن أخبرك. يجب أن أقضي بعض الوقت بالتفكير.

- لن توشي بي أمام «جيرالد»؟

- قد يكون من واجبي القيام بذلك.

- لا لا.

ارتفع صوت «فيفيان» إلى صرخة هستيرية:

- سيطلقني. لن يستمع إلى أي كلمة. سيكتشف ذلك من هذا الفندق، وسيتم جر «سيريل» لهذا الموضوع. وبعد ذلك ستطلقه زوجته. كل شيء سيتدمر، حياته المهنية، وصحته، وسيعود مفلسًا مرة أخرى. لن يغفر لي أبدًا.... أبدًا.

قالت «كلير» بهدوء:

- اغفري لي قولي هذا، لكنني لا أفكر كثيرًا في «سيريل» هذا.

لم تبالي «فيفيان» وأكملت:

- أقول لكِ إنه سيكرهني. لا أستطيع تحمل ذلك. لا تخبري «جيرالد». سأفعل أي شيء تريدينه، لكن لا تخبري «جيرالد».

قالت «كلير» بجدية:

- يجب أن أحظى ببعض الوقت لاتخاذ قرار. لا يمكنني أن أعد بأي شيء الآن. في غضون ذلك، يجب ألا تلتقي أنتِ و«سيريل» هذا مرة أخرى.

- لا، لا، لن نفعل ذلك. أقسم لكِ.

قالت «كلير»:

- عندما أعرف ما هو الشيء الصحيح الذي يجب أن أفعله، سأخبرك بذلك.

نهضت. خرجت «فيفيان» من المنزل بهدوء وسرعة،وهي تنظر إلى الوراء من فوق كتفها. تجعد أنف «كلير» في اشمئزاز. علاقة قذرة. هل ستفي «فيفيان» بوعدها بعدم رؤية «سيريل»؟ على

الأغلب لا. كانت ضعيفة، وقد ضرب العفن روحها حتى الأعماق.

بعد ظهر ذلك اليوم ذهبت «كلير» في نزهة طويلة. كان هناك طريق يقود على طول المنحدرات. على اليسار، انحدرت التلال الخضراء برفق نحو الأسفل تجاه البحر الموجود على مبعدة، بينما كان المسار ينحدر باطراد إلى الأعلى. عُرف هذا الطريق بين السكان باسم «الحافة».

على الرغم من كونك آمنًا بدرجة كافية إذا واصلت السير على الطريق، إلا أنه كان من الخطير الابتعاد عنه. كانت تلك المنحدرات جميلة المظهر لكن خطيرة.

لقد فقدت «كلير» كلبًا هناك ذات مرة. جرى الكلب فوق العشب الأملس، واكتسب جسده قوة دفع كبيرة، ولم يكن قادرًا على التوقف وتجاوز حافة الجرف ليتحطم إلى أشلاء على الصخور الحادة بالأسفل!

كانت الظهيرة صافية وجميلة. من أسفل كان هناك أمواج البحر، مصدرة خريرًا مهدئًا. جلست «كلير» على العشب الأخضر القصير وحدقت في المياه الزرقاء. يجب أن تواجه هذا الموقف بوضوح. ماذا تنوي أن تفعل؟ فكرت في «فيفيان» بنوع من الاشمئزاز فكرت كيف انهارت الفتاة، وكيف استسلمت لهذا الحقير! شعرت «كلير» بازدراء متزايد لم يكن لديها أي شجاعة أو أخلاق ومع ذلك، بقدر ما كرهت «فيفيان»، قررت «كلير» أنها ستستمر في إخفاء ما فعلته في الوقت الحاضر.

عندما عادت إلى المنزل، كتبت لها رسالة تقول فيها إنه على الرغم من عدم قدرتها على تقديم وعد محدد للمستقبل، فقد

قررت التزام الصمت في الوقت الحاضر.

وسارت الحياة على نفس المنوال في «دايميرز إند».

لاحظ سكان القرية أن السيدة «لي» لم تكن تبدو بحال جيدة على الإطلاق. من ناحية أخرى، ازدهر حال «كلير هاليويل». صارت عيناها أكثر إشراقًا، وارتفع رأسها لأعلى بشموخ، وكان هناك ثقة وطمأنينة جديدة في أسلوبها. غالبًا ما التقت هي والسيدة «لي»، ولوحظ في هذه المناسبات أن المرأة الشابة كانت تتأمل المرأة الأكبر سنًا باهتمام شديد، نحو كل بادرة وأقل كلمة تصدر عنها.

في بعض الأحيان، كانت الآنسة «هاليويل» تدلي بملاحظات تبدو غامضة بعض الشيء -ليست ذات صلة كاملة بالموضوع قيد الحديث. كانت تقول فجأة إنها غيرت رأيها بشأن العديد من الأشياء مؤخرًا- وكان من الغريب كيف يمكن لشيء صغير أن يغير وجهة نظر المرء تمامًا. كان المرء على استعداد لإفساح المجال أكثر من اللازم للشفقة، وكان ذلك في الحقيقة خاطئًا تمامًا.

عندما تقول أشياء من هذا النوع، كانت تنظر عادةً إلى السيدة «لي» بطريقة غريبة، وفجأة تصبح هذه الأخيرة شاحبة الوجه تمامًا، وتبدو مرعوبة تقريبًا. ولكن مع مرور العام، أصبحت هذه التفاصيل الدقيقة أقل وضوحًا. واصلت «كلير» إبداء نفس الملاحظات، لكن بدت السيدة «لي» أقل تأثرًا بها. بدأت في استعادة مظهرها ومعنوياتها. عاد أسلوبها المبتهج القديم.

ذات صباح، عندما كانت «كلير» تأخذ كلبها في نزهة على الأقدام، قابلت «جيرالد» في أحد الشوارع. انسجم كلب هذا

الأخير الذي ينتمي لسلالة «السبانييل» مع «روفر»، بينما تحدث سيده إلى «كلير»، فقال بسعادة:

- هل سمعتِ أخبارنا؟ أتوقع أن «فيفيان» أخبرتك؟

-أي نوع من الأخبار؟ لم تذكر «فيفيان» أي شيء على وجه الخصوص.

- سوف نسافر إلى الخارج، لمدة عام، ربما لفترة أطول.سئمت «فيفيان» هذا المكان. كما تعلمين، لم تحب القرية قط.

ثم تنهد، بدا حزينًا للحظة أو اثنتين. كان «جيرالد لي» فخورًا جدًا بمنزله.

- على أي حال، لقد وعدتها ببعض التغيير. لقد أخذت فيلا بالقرب من الجزائر. مكان رائع بكل المقاييس.

ثم ضحك قليلًا، قبل أن يستطرد:

- شهر عسل ثانٍ، إيه؟

لم تستطع «كلير» الكلام لمدة دقيقة أو دقيقتين. شعرت كأن شيئًا ما يرتفع في حلقها ويخنقها. كانت ترى الجدران البيضاء للفيلا، وأشجار البرتقال، وتشم رائحة الجنوب المعطر.

شهر عسل ثانٍ!

بل كانا في طريقهما للفرار. لم تعد «فيفيان» تخشى تهديداتها. بل تنوي الذهاب بعيدًا، تتخلص من الهموم، لتصبح سعيدة!

سمعت «كلير» صوتها، وقد صار أجش قليلًا، وهي تقول الأشياء المناسبة. كم هذا لطيف! كانت تحسدهما! ولحسن

الحظ في تلك اللحظة قرر «روفر» والكلب «السبانييل» الشجار. وتسببت المشاجرة التي أعقبت ذلك في إنهاء الحديث بين سيديهما.

بعد ظهر ذلك اليوم جلست «كلير» وكتبت رسالة إلى «فيفيان»، طلبت منها مقابلتها عند ذلك المكان المدعو «الحافة» في اليوم التالي، حيث كان لديها شيء مهم جدًا لتقوله لها.

بزغ فجر اليوم التالي مشرق وصافي. صعدت «كلير» على المسار الحاد للحافة بقلب سعيد.

يا له من يوم مثالي! كانت سعيدة لأنها قررت أن تقول ما يجب أن يقال في العراء، تحت السماء الزرقاء، بدلًا من غرفة جلوسها الصغيرة المزدحمة. كانت آسفة لـ«فيفيان»، آسفة جدًا حقًا، لكن كان يجب فعل الشيء الصحيح!

رأت نقطة صفراء، مثل زهرة صفراء أعلى جانب الطريق. عندما اقتربت، ميزت أنها كانت «فيفيان»، مرتدية فستانًا أصفر ملاصق لجسدها، جالسة على العشب القصير، وقد شبكت يديها حول ركبتيها. قالت «كلير»:

- صباح الخير. أليس هذا صباحًا مثاليًا؟

- فعلًا؟

هكذا علقت «فيفيان»، ثم أكملت:

- لم ألاحظ. ماذا كنتِ تريدين أن تقول لي؟

نزلت «كلير» على العشب بجانبها. قالت باعتذار:

- لقد تعبت من الصعود لهنا. المكان عالٍ جدًا.

صرخت «فيفيان» بشراسة:

- تبًا لكِ! لماذا لا تقولينها مباشرة، أيتها الأفعى ذات الوجه الناعم، بدلًا من تعذيبي؟

بدت «كلير» مصدومة، وتراجعت «فيفيان» عن كلماتها على عجل:

- لم أقصد ذلك. أنا آسفة يا «كلير». آسفة حقًا.أعصابي محطمة، وجلوسك هنا والحديث عن الطقس، حسنًا، لقد أصابني كل هذا بانفجار.

قالت «كلير» ببرود:

- ستصابين بانهيار عصبي إذا لم تكوني حريصة.

ضحكت «فيفيان» ضحكة قصيرة قبل أن تقول:

- تقصدين أن أسقط من فوق الحافة؟ لا، فأنا لست من هذا النوع. لن أكون مجنونة لتلك الدرجة أبدًا. أخبريني الآن، ما هو سبب كل هذا؟

ظلت «كلير» صامتة للحظة، ثم تحدثت، ولم تنظر إلى «فيفيان»، بل نظرت بثبات إلى البحر:

- اعتقدت أنه من العدل فقط أن أحذرك من أنه لم يعد بإمكاني الصمت حيال ما حدث العام الماضي.

- تقصدين أنكِ ستذهبين إلى «جيرالد» لتحكي لهالقصة كاملة؟

- ما لم تخبريه بنفسك. سيكون هذا أفضل.

ضحكت «فيفيان» بحدة:

- أنتِ تعرفين جيدًا أنني لا يمكن أن أقوم بذلك.

لم تعارض «كلير» هذا الكلام. هي تعرف من قبل شخصية «فيفيان» الجبانة. كررت قائلة:

- سيكون أفضل كثيرًا.

مرة أخرى بدرت عن «فيفيان» تلك الضحكة القصيرة القبيحة. ثم قالت ساخرة:

- أعتقد أن ضميرك الغالي هو الذي يدفعك للقيام بذلك.

قالت «كلير» بهدوء:

- أجرؤ على القول أن هذا يبدو غريبًا جدًا بالنسبة لكِ، لكن هذا هو السبب فعلًا.

شحب وجه «فيفيان»، وأخذت تحدق في وجهها. قالت:

- رباه! هل تعتقدين في الواقع أن هذا هو السبب الحقيقي؟

- هذا هو السبب.

- لا، ليس كذلك. إذا كان الأمر كذلك، لكنتِ قد فعلتِ ذلك من قبل، منذ فترة طويلة. لماذا لم تفعليها سابقًا؟ لا، لا تجيبي. سأخبرك. لقد حصلتِ على متعة أكبر من إمساكها لي وتهديدي بها، هذا هو السبب. لقد أحببتِ أن تبقيني تحت سيطرتك، وتجعليني أشعر بالضيق والقلق. كنتِ تقولين أشياء شيطانية، فقط لتعذيبي وإبقائي دائمة التوتر. وقد ظل حالي هكذا لفترة،

حتى اعتدت عليهم.

قالت «كلير»:

- كان عليكِ أن تسعي للشعور بالأمان.

- رأيتِ ذلك، أليس كذلك؟ لكن قبل أن أسعى لهذاالهروب، تراجعتِ عن الاعتراف، مستمتعة بإحساسك بالقوة. لكننا الآن سنذهب بعيدًا، ونهرب منكِ، وربما حتى نكون سعداء. ولا يمكنك السماح بذلك بأي ثمن. لذلك استيقظ ضميرك المرتاح!

ثم وقفت وهي تلهث. قالت «كلير»، وهي ما تزال هادئة جدًا:

- لا يمكنني منعك من قول كل هذه الأشياء الخيالية؛ لكن يمكنني أن أؤكد لكِ أنهم غير حقيقيين.

استدارت «فيفيان» فجأة وأمسكتها من يدها.

- «كلير»، بحق السماء! لقد كنت صريحة معكِ، لقد فعلت كل ما قلته لي. لم أر «سيريل» مرة أخرى، أقسم بذلك.

- هذا لا علاقة له به.

- كلير، أليس لديكِ أي شفقة، أي شعور بالعطف؟ سأركع على ركبتي لكِ.

- أخبري «جيرالد» بنفسك. إذا أخبرتِه، فقد يغفر لكِ.

ضحكت «فيفيان» بازدراء:

- أنتِ تعرفين «جيرالد» أفضل من ذلك. سيجن بالكامل وسينتقم مني. سيجعلني أعاني، وسيجعل «سيريل» يعاني. هذا ما لا يمكنني تحمله. اسمعي يا«كلير»، إنه يعمل بشكل جيد. لقد

اخترع شيئًا، آلة من نوعٍ ما، لا أفهمها بالكامل، لكنها قد تكون نجاحًا رائعًا إنه يعمل الآن زوجته توفر المال لذلك، بالطبع لكنها غيور إذا اكتشفت الأمر، فستعرف ما إذا كان «جيرالد» قد بدأ الإجراءات من أجل الطلاق سوف تدمر «سيريل»، عمله، وكل شيء .

قالت «كلير»:

- أنا لا أفكر في «سيريل». أفكر في «جيرالد». لماذا لا تفكرين فيه قليلًا هو الآخر؟

- «جيرالد»! لا يهمني أمره على الإطلاق. ولم يسبق لي أن فعلت. ربما يجب أن نتبادل الحقيقة الآن في كل شيء. لكني أهتم بـ«سيريل». أنا متهورة، أعترف بذلك. أجرؤ على القول إنه شخص متهور أيضًا. لكن مشاعري تجاهه، أوه، هذا شيء حقيقي. أنا مستعدة أن أموت من أجله، هل تسمعينني؟ سأموت من أجله!

قالت «كلير» بسخرية:

- الكلام سهل.

- هل تعتقدين أنني لست جادة؟ اسمعي، إذا واصلتِ هذا العمل الوحشي، فسوف أقتل نفسي. أفضل أن أفعل هذا قبل أن يدخل «سيريل» في هذا الموضوع وتتدمر حياته، سأفعل ذلك!

ظلت «كلير» غير متأثرة.

- أنتِ لا تصدقيني؟

سألتها «فيفيان» وهي تلهث. قالت «كلير»:

- الانتحار يحتاج إلى الكثير من الشجاعة.

تراجعت «فيفيان» مرة أخرى كما لو أنها تعرضت للضرب.

- لقد أوصلتني إلى تلك المرحلة. نعم، ليس لدي حل آخر. إذا كانت هناك طريقة سهلة.....

قالت «كلير»:

- هناك طريقة سهلة أمامك. بوسعك فقط الركضمباشرة أسفل ذلك المنحدر الأخضر. سينتهي الأمر في غضون دقيقتين. تذكرين ما حدث لذلك الطفل العام الماضي؟

قالت «فيفيان» مفكرة:

- نعم.

وهنا ضحكت «كلير» قائلة:

- سيكون ذلك سهلًا، سهلًا للغاية، إذا أراد المرء حقًا.....

التفت إليها «فيفيان» وهي تقول:

- دعينا نستمر كما كنا. ألا يمكنك رؤية أنكِ بالتزام الصمت طيلة تلك الفترة، ليس لكِ الحق في الحديث عن الموضوع الآن؟ لن أرى «سيريل» مرة أخرى. سأكون زوجة صالحة لـ«جيرالد»، أقسم أنني سأفعل. أو سأذهب بعيدًا ولن أراه مرة أخرى أبدًا؟ أيهما تريدين يا «كلير»؟

نهضت «كلير». قالت:

- أنصحك أن تخبري زوجك بنفسك... وإلا، سأفعلها أنا!

قالت «فيفيان» بهدوء:

- حسنًا، لا يمكنني ترك «سيريل» يعاني.....

نهضت ووقفت كما لو كانت تفكر لمدة دقيقة أو دقيقتين، ثم ركضت ببطء إلى الطريق، ولكن بدلًا من التوقف، استمرت في طريقها وذهبت أسفل المنحدر. أدارت رأسها إلى الوراء ولوحت بيدها بمرح إلى «كلير»، ثم ركضت بمرح، بخفة، كطفل يركض، واختفت بعيدًا عن الأنظار.... وقفت «كلير» متحجرة. فجأة سمعت صرخات، صراخ، ضجيج أصوات، ثم... الصمت.

شقت طريقها بصلابة إلى الطريق. على بعد حوالي مائة ياردة، توقفت مجموعة من الأشخاص القادمين. كانوا يحدقون ويشيرون. ركضت «كلير» وانضمت إليهم.

- نعم يا آنسة، سقط أحدهم فوق الجرف. نزل رجلان ليريا ماذا حدث.

انتظرت. هل كانت ساعة، سنوات، أم بضع دقائق فقط؟

جاء رجل يعاني وهو يصعد. كان النائب وهو يرتدي قميصه طويل الأكمام. خلع معطفه لتغطية ما يقع بالأسفل.

قال:

- منظر رهيب.

كان وجهه شاحبًا جدًا.

- لحسن الحظ أن الوفاة حدثت على الفور.

ثم رأى «كلير»، وأتى إليها.

- لا بد أن هذه صدمة مروعة لكِ. كنتما تمشيان سويًا كما فهمت؟

سمعت «كلير» نفسها تجيب ميكانيكيًا. نعم. لقد افترقتا للتو. لا، كانت طريقة ليدي «لي» طبيعية تمامًا. تدخل شخص من المجموعة ليقول معلومة تفيد بأن السيدة كانت تضحك وتلوح بيدها. مكان خطير للغاية، يجب أن يكون هناك درابزين على طول الطريق. ارتفع صوت النائب مرة أخرى:

- حادث، نعم، من الواضح أنه حادث.

وفجأة ضحكت «كلير»، ضحكة غريبة صاخبة، تردد صداها على طول الجرف. قالت:

- هذه كذبة بغيضة. ليس حادثًا، أنا قتلتها!

شعرت بشخص يربت على كتفها، وتحدث صوت بهدوء:

- رويدك. كل شيء على ما يرام. ستكونين بخير.

لكن «كلير» لم تكن على ما يرام في الوقت الحاضر. ولم تصبح بخير مرة أخرى. استمرت في الوهم -وهو وهم بالتأكيد، لأن ثمانية أشخاص على الأقل شهدوا المشهد- بأنها قتلت «فيفيان لي». كانت بائسة للغاية حتى وصلت الممرضة «لوريستون» لتولي المسؤولية. كانت الممرضة «لوريستون» ناجحة للغاية في الحالات العقلية. كانت تقول بثقة:

- الحل أن تضحكوهم أولئك البؤساء.

أخبرت «كلير» أنها تعمل كسجّانة في سجن «بنتونفيل». وقالت إن عقوبة «كلير» التي حكمت بها المحكمة هي أن تظل

بالحبس الانفرادي مدى للحياة. تم تجهيز الغرفة لتبدو كزنزانة سجن. وقالت الممرضة «لوريستون» للطبيب:

- والآن، أعتقد أننا سنكون جميعًا سعداء ومرتاحين للغاية. لن نسمح إلا بوجود سكاكين بلاستيكية إذا أردت أيها الطبيب، لكنني لا أعتقد أن هناك أي خوف من أن تقوم بالانتحار. إنها ليست من هذا النوع. فهي شديدة التمحور حول ذاتها لتفعل هذا. غريب كيف أن تلك النوعية غالبًا ما ينهارون يسقطون من فوق حافة تحملهم بسهولة!

*****

لقاء مع الموت

سي بي جيلفورد

لم تسمع الطلقة!

كان من غير المحتمل أن تسمعها، حتى لو أرهفت سمعها. لأن الموضوع حدث بعيدًا في دور علوي مظلم من المستودع القديم، وانكتم الصوت بسبب المسافة والجدران المتداخلة.

لكن «ريفا» لم تكن تستمع. لم تكن مهتمة في تلك اللحظة بأمور تتعلق بالحياة والموت مثل الطلقات النارية.

الحياة والموت الذين كانت تفكر فيهما كانا يخصانها هي، وكانت تفكر في التخلص من أحدهما، واحتضان الآخر!

الشيء الذي كانت تنظر إليه هو النهر كانت مياهه تتدفق عند قدميها سوداء وعكرة، وصامتة تقريبًا، وصوت المياه الوحيد هو صوت ارتطام موجاتها الخفيف على حجارة الرصيف كان صوتًا سلميًا مخادعًا، لأن الحقيقة هي أن التيار في تلك البقعة كان قويًا وغادرًا!

لكن السواد والغموض كانا مرحبين. أسفل السطح اللامع، تحت انعكاس أضواء المدينة البعيدة، كان هناك شعور غامر بالسلام. أخذت خطوة مقتربة من الحافة.

في المستودع، كان هناك رجل يركض على درجات شديدة الانحدار من السلالم الخشبية، متجاهلًا ضجيج خطواته. كان المكان مهجورًا. على الأرجح لن يسمع أحد يقف خارج الأرصفة صوت قدميه ما داموا لم يسمعوا صوت الرصاصة.

ربما سمع شخص واحد صوت الخطوات والهروب هذا.

«ريفا»، بأذنيها الرقيقتين الجميلتين، والتي تدلى منهما القرطان الرخيصان المتلألئان.

لكنها كانت تحدق في أصابع قدمها اليمنى، والتي ظهرت من خلال فتحة حذائها الرخيص كذلك.

كانت تقف على حافة الرصيف. لم يكن عليها حقًا أن ترمي نفسها في الماء، كان عليها فقط أن تتكئ للأمام قليلًا، وتسترخي....

كان صدى صوت خطوات الرجل المسلح تدوي على الأرضية الخرسانية للمستودع الآن. ثم ارتفع صوت فتح الباب، وهو يتأرجح على مفصلات صدئة قليلًا. كان في الخارج، يلقي نظرة خاطفة في كل الاتجاهات، يريد التأكد من أن أحدًا لم ينتبه لخروجه قبل أن يخرج من وسط ظلال المدخل.

تحركت «ريفا» في نفس اللحظة تقريبًا. استجمعت شجاعتها أخيرًا. بعد كل شيء، الأمر يتطلب الكثير من الشجاعة فعلًا. تمايل جسدها نحو النهر، فشعرت بوجع عضلاتها يتبخر. أخذ قرطا الأذن اللذان ترتديهما يلمعان وسط الظلام كأنهما سيجاراتان ألقيتا في الهواء، بينما جسدها يشق الهواء، قبل أن تسقط في الماء مصدرة صوت طرطشة أعلى من صوت الرصاص.

وهنا رآها الرجل!

رأى لمعان قرطي الأذن الشاحب. استوعب أن من يطاردها كانت فتاة.

كان يعلم أنها قفزت في الماء عمدًا، وليس عن طريق الخطأ. وقف متجمدًا مكانه، عند المدخل، وقد تصارعت مجموعة غريبة من الغرائز بداخله.

بعد طرطشة المياه الأولى لم يظهر أي صوت آخر، ولا حتى صوت حشرجة. كان النهر يتدفق بهدوء، غير مكترث، وربما غير مدرك بما يدور وسط مياهه. تحرك الرجل ببطء، وظل مختبئًا في الظل بقدر استطاعته.

انجرف خلسة فوق الرصيف، وأصدر حذاؤه أصواتًا جوفاء على

الألواح القديمة. أخيرًا وصل عند الحافة ونظر إلى أسفل في الماء. بالنسبة لعيون مثل عينيه التي اعتادت الظلام، لم يكن من الصعب العثور على الفتاة. ليس جسد الفتاة كاملًا بالطبع مجرد وجه بيضاوي أبيض يطفو على سطح مياه النهر الداكنة مثلما تطفو زهور زنبق الماء على سطح بركة لا بد أن الفكرة خطرت في باله، إذا أرادت أن تموت، فلماذا لا تنقلب وتغمر وجهها؟ لماذا تريد إطالة العذاب؟ هل تفضل أن تموت وهي تحدق إلى أعلى في النجوم؟ كان من الممكن أن تأتي مثل هذه الأفكار لهذا الرجل، الذي كان خبيرًا في تفاصيل الموت لقد رأى أكثر من رجل يموت، وهم يكافحون ضد النيران القاتلة اندلعت في أحشائهم، وهم يتمسكون بالحياة بيأس. أما هنا فأمامه شخص أراد أن يموت بالفعل. جنون مؤقت. لا بد أن يكون شيئًا من هذا القبيل، لأن الناس لا يموتون طوعًا.

أيًا كانت أفكاره، فقد تسمر جسده جامدًا ومتوازنًا على حافة الرصيف. ربما لم يتخذ عقله قرارًا محددًا. ربما كان تصرف جسده تلقائيًا وآليًا، ونسي عقله أنه كان قاتلًا مأجورًا، وكان رد فعله برمته كما لو كان موتًا عاديًا في الليل، أو كما لو كان هو مواطنًا ملتزمًا بالقانون.

مهما كانت الدوافع المعقدة أو البدائية التي انتصرت بداخله، كانت الحركات الجسدية سريعة. نزع سترته، وألقى بها جانبًا على الرصيف، ثم جاءت الحافظة التي حملها على كتفه، بمحتوياتها المعدنية الثقيلة، وأخيرًا حذائه.

دخل الماء كما يفعل أي سباح محترف، وقد أخذ ذراعاه يحلقان على سطح الماء على الفور بضربة قوية. كان سباحًا قويًا ماهرًا،

وقد وصل إلى الفتاة قبل أن تدرك تمامًا أن محاولة الإنقاذ تجري. جاء هذا الإدراك بعد فوات الأوان. ربما حاولت أن تتهرب منه، أو تختفي تحت السطح حتى لا يجدها. عندما أمسكت يده بذراعها، بدأت في الصراع. لكن بدا أنه مستعد لذلك. ضربها شيء ما بقبضته -أو ربما كانت راحة يده- على وجهها!

لم تفقد وعيها، لكن الصدمة جعلتها تستسلم. بدأ الرجل في جرها إلى الرصيف ولم تقاوم. بدلًا من ذلك، استسلمت لفرحة اللحظة، لحظة إدراك أن هناك من يهتم بسلامتها، وهناك من يهتم بها. عندما وصلا إلى الرصيف، لم يكن هناك حاجة لإخبارها بما يجب أن تفعله. ساعدها الرجل بالطبع، لكنها استخدمت قوتها الخاصة في الغالب للصعود. صعدت هي أولًا وتبعها. ثم واجها بعضهما البعض، وكلاهما يقطران ماء، في الظلام، دون أن يقولا شيئًا في البداية، وإنما ظلا يستمعان إلى تنفسهما العسير وصوت تكون برك الماء تحت أقدامهما. قال الرجل أخيرًا:

- أيتها الشابة الصغيرة، هذا تصرف غبي.

كان قد دعاها بالشابة، وبطريقة ما أدى اختياره للكلمات إلى إثارة قشعريرة في نفسها. كانت شابة، نعم، وجذابة كذلك، لكنها لم تعد تعتبر نفسها صغيرة. قالت:

- أعتقد أنني يجب أن أشكرك.

قاصدة أنها المفترض أن تكون ممتنة للكلمات التي قالها وصفه لها بأنها «صغيرة»، وليس لفعل الإنقاذ نفسه. غالبًا هي مجنونة، صح؟

على أي حال قاطعها بفظاظة:

- لا تهتمي.

كان هذا هو نوع الحديث الذي اعتادت عليه أكثر. قالت له:

- لن أفعل. لماذا لا تهتم بشؤونك الخاصة؟

بدرت عنه ضحكة ساخرة قليلًا، وبدلًا من محاولة قول المزيد، جلس وبدأ يرتدي حذاءه. ثم حمل الحافظة على كتفه وربطها من فوق قميصه المبلل. سألته:

- هل أنت شرطي؟

رأى أن يبتسم على تلك العبارة. لم تستطع رؤية وجهه بوضوح في الظلام، لكنها أدركت بشكلٍ ما أنه كان حسن المظهر نوعًا. لم يكن هناك شك في أن كتفيه عريضين وأنه كان قويًا. سألت:

- حسنًا، ماذا ستفعل بي؟ هل ستسلمني إلى رجال الشرطة؟

أكد لها:

- أنا لا علاقة لي بأي رجال شرطة. لكن هذا سؤال جيد. ماذا سأفعل بكِ؟ أعيدك إلى المنزل، على ما أعتقد.

هزت رأسها مجيبة:

- ليس لدي منزل.

- هل لديكِ أي عنوان تذهبين إليه إذن؟

- أنا بلا عنوان. لم لا تريح نفسك وترميني مرة أخرى في الماء؟

- بعد كل المشاكل التي تكبدتها لإنقاذك؟ لا أظن، أنا أحب إنهاء الأشياء التي أبدؤها.

ثم أمسكها من ذراعها مرة أخرى فجأة، وكانت قبضته غير مجدية للمقاومة كما كانت في الماء.

سارت بجانبه لأنه لم يكن لديها خيار آخر. لقد فقدت حذاءها في النهر، وكانت الأحجار المرصوفة بالحصى الخشنة التي سارت فوقها وهي تبتعد عن الرصيف قاسية على قدميها. لم يدرك الرجل ذلك، أو ببساطة لم يهتم، لأنه جرها بخطى سريعة. لحسن الحظ لم تكن مسيرة طويلة. وسط مجموعة من الظلال شديدة السواد كانت هناك سيارة. فتح الرجل باب كرسي السائق، ودفعها أمامه متجاوزًا عجلة القيادة، وقبل أن تستقر على المقعد، كانت السيارة تتحرك بالفعل!

لم تسأله إلى أين هما ذاهبان.

حاولت ألا تفكر حتى في غرابة وضعها. شعرت أن السيارة كانت باهظة الثمن. كان المقعد جلديًا، وربما لن يتلفه ابتلال الركاب. كما أنه كان ناعمًا ومريحًا، والشيء الوحيد الذي لم تحبه في الرحلة هو نسيم الليل الذي يأتي عبر النوافذ ويلصق ثوبها الرقيق المبلل بجلدها البارد بالفعل. قال الرجل بعد فترة:

- أعتقد أنني يمكن أن أوصلك إلى جيش الإنقاذ أو فيمكان ما من هذا القبيل.

سألته:

- ما هو الفرق؟

- إذن أفترض أنكِ ستعودين مباشرة إلى النهر في أول فرصة مناسبة؟

- أعتقد أنني سأفعل.

قال لها:

- هذا ما لا أحبه. عندما أزعج نفسي بإنقاذ حياة شخص ما، أريده أن يحافظ عليها. مثلما عندما....

لكنه لم يكمل الجملة. قضيا بقية الرحلة في صمت تام.دخلا حيًا من المباني السكنية الفاخرة إلى حد ما. توقفت السيارة في منطقة مظلمة خلف أحد تلك المباني. قال الرجل:

- علينا أن نذهب إلى الخلف ونأمل ألا يرانا أحد.

قادها من يدها، عبر جراج سفلي ضخم، إلى مصعد خدمة فارغ. ذهبا سرًا وخفية مثل اللصوص، ولم يراهما أحد. نزلا في الطابق السادس، وهرعا عبر ممر مفروش بالسجاد. أخرج الرجل مفتاحًا، وفتح بابًا، وفتح مفتاح الضوء، ثم صارا بالداخل. لم تستطع «ريفا» مقاومة الدهشة التي ظهرت عليها:

- واو، أنت تعيش في مكان فاخر!

- هذا المكان ليس لي.

صحح لها معلومتها:

- إنه يخص فتاة تدعى «ديان»، وهي خارج المدينة منذ فترة.. إنها كريمة ولطيفة ولن تهتم.

فعلت «ريفا» ما قيل لها. دخلت إلى غرفة نوم كبيرة مزخرفة،

وخلعت أغراضها المبللة، وعلقتها في الحمام المجاور، وجففت نفسها بمنشفة تركية ضخمة، ثم تفقدت عدة خزانات من الملابس للاختيار من بينها. اختارت أخيرًا رداءً سميكًا ودافئًا، ووجدت نعالًا لقدميها. عندما خرجت، استطاعت شم رائحة القهوة المنعشة، وكان منقذها هناك، وهو يرتدي ملابس جافة كذلك، ينتظرها.

قررت الآن أنه كان حسن المظهر حقًا. لكن ليس مثل ممثلًا سينمائيًا، بل مثل رياضي. لم يكن طويلًا، لكنه بدا صلبًا جدًا. كان وجهه مربعًا ولطيفًا، وكان ذا شعر داكن قصير جدًا، إلا أنه كان مجعدًا، وعيناه بنيتان ولطيفتان. سألها:

- ما هو شعورك؟

أراد أن يعرف. أجابته بتردد:

- أشعر أنني بحال جيدة.

أحضر القهوة في دورق فضي كبير. كانت ساخنة، وأكملت القهوة مهمة تدفئتها. جلسا على كرسيين أمام بعضهما البعض وارتشفا منها، وفي النهاية تحدثا.

- ما اسمك؟

سألها، فردت:

- «ريفا رينارد».

- الاسم الحقيقي؟

هزت رأسها. سأل من جديد:

- هل أنتِ متزوجة يا «ريفا»؟

- لا.

- ماذا تعملين؟

- عارضة أزياء.

رفع حاجبيه.

- هل ستظهرين على أغلفة أي مجلات هذا الشهر؟

لم يكن يحاول أن يسخر منها، لكنه ضايقها بتعليقه على أي حال. قالت:

- حسنًا، أنا لست على أي أغلفة. لست في أي مكان. كان علي أن أفعل أشياء أخرى.

- ولا أعتقد أنكِ أحببتِ تلك الأشياء الأخرى.

- كرهتهم!

- لكنكِ فتاة جميلة جدًا يا «ريفا رينارد». لماذا لا تعودين إلى مسقط رأسكِ وتتزوجين من أحد أصدقائك القدامى؟

هزت رأسها بشدة عند سماع هذا الاقتراح، وكانت الأقراط ما تزال تتشبث بأذنيها، واهتزت مصدرة صوتًا غير مريح.

- لقد فات الأوان لفعل ذلك الآن. هذا هو بيت القصيد، ألا ترى؟

تظاهر على الأقل أنه رأى.

- إذن لهذا السبب قفزت في النهر الليلة؟

- نعم. ولم تساعدني في أي شيء عندما أخرجتني بالمناسبة. أنا دافئة وجافة، لكن لم يتغير شيء بداخلي حقًا.

أومأ برأسه.

- أعلم. لدي مسؤولية تجاهك الآن.

أخبرها بعد ذلك أن تبقى وتعيش في هذه الشقة لفترة، على الأقل حتى تتاح لها فرصة أفضل للتفكير في الأمور. كان هناك طعام في الشقة، والكثير من الملابس. لن تعود «ديان»، الفتاة التي تعيش هنا، لأسابيع. وبالطبع سيمر بها كثيرًا. وبدلًا من المجادلة معه، وافقت على هذا الترتيب.

- ما اسمك؟



سألته عند الباب وهو يغادر.

- الاسم الحقيقي؟

- أيًا كان. الاسم الذي تفضله.

- حسنًا، إنه «جوني كون».

- هذا اسم غريب. يبدو مثل....

- مثل ماذا؟

- مثل اسم رجل عصابات أو شيء من هذا القبيل.

- لديكِ مخيلة كبيرة، أيتها الفتاة الصغيرة.

عندما رحل، اتكأت على الباب وشعرت برعشة تمر عبر جسدها مرة أخرى. لقد دعاها بالفتاة الصغيرة للمرة الثانية، حتى بعد أن أخبرته شيئًا عن نفسها. حتى أنها نسيت في الوقت الحالي

أن لديه اسمًا يبدو مضحكًا مثل «جوني كون».

في صباح اليوم التالي، اكتشفت أن توصيل الصحيفة اليومية الخاص بـ«ديان» لم يتوقف عندما غادرت المدينة، وكانت الطبعة الأولى موجودة في الردهة بجانب الباب. ولأنها كانت وحيدة، فتحت «ريفا رينارد» الصحيفة وقرأتها.

واحتلت جريمة القتل الصفحة الأولى!

كان اسم الضحية «نيك تافينر». كان اسمًا مألوفًا لها بالطبع، كما كان مألوفًا للجميع في المدينة. كان «نيك تافينر» هو المسؤول عن معظم عصابات المدينة. هذا ما اعتقده الناس دائمًا على أي حال، على الرغم من أن الشرطة لم تتمكن من إثبات هذا قط بما فيه الكافية لإبقاء «نيك» في السجن لفترة طويلة. حسنًا، الآن لن يضطروا للقلق بشأن «نيك» بعد الآن. تم إطلاق النار عليه وقُتِل بدم بارد، في أحد تلك المستودعات القديمة أسفل الأرصفة. كما ذكر المقال الإخباري بعض شركاء «نيك»، وهم رجال تعتزم الشرطة بالتأكيد استجوابهم الآن. كان هناك عشرات الأسماء في هذه القائمة، ومن بينهم اسم «جوني كون»!

أمضت «ريفا» الساعات بانتظار سماع رنين جرس الباب أو الهاتف، لكن لم يرن أي من الإثنين.

قدمت جريدة المساء مزيدًا من المعلومات حول مقتل«نيك تافينر»، والذي بدا أنه أثار ضجة كبيرة بشكل عام. تم بالفعل استجواب بعض المشتبه بهم، من بينهم «جوني كون». لم يتم نشر نتائج الاستجواب، ولكن يبدو أنه لم يتم إجراء أي اعتقالات. قضت «ريفا» بقية الوقت بين قراءة الجريدة

والتفكير في «جوني» وهي جالسة على منضدة خدم «ديان». ظلت تمشط شعرها الأسود الطويل حتى لا تبدو وكأنها كانت في النهر في الليلة السابقة، حتى أنها تمكنت من محو بعض الهالات السوداء تحت عينيها الزرقاوين، قال «جوني» إنها كانت جميلة، واتفقت مع هذا الرأي.

في البداية كانت مترددة في استخدام أي شيء من خزانة ملابس «ديان». لكنها وجدت فستانًا أزرق يناسب عينيها تمامًا، وارتدته وجلست في غرفة النوم لتنتظر «جوني». كانت الساعة الحادية عشرة تقريبًا عندما وصل. رفع حاجبيه عندما رأى الفستان الأزرق، وابتسم، لنفسه في الغالب على ما يبدو. قال:

- أنتِ أجمل مما كنت أعتقد.

تمنت حينها أن يأخذها بين ذراعيه ويقبلها. لكنها تساءلتبعد ذلك لماذا يجب أن يفعل شيئًا كهذا لم تكن تهمه حقًا على أي حال، لم يقبلها من المحتمل، مع ذلك، أن سبب السهو عن فعل ذلك هو حقيقة أن الأشياء التي رآها بعد ذلك كانت الصحف الممددة على منضدة القهوة!

نظر إليهم لمدة دقيقة ثم عاد بنظراته إليها. ولم يضيع الوقت في محاولة التظاهر. أعلن بصراحة:

- قضيت معظم اليوم في قسم الشرطة. اعتقدوا أنني ربما قتلت «نيك تافينر». هناك ما جعلهم يعتقدون أنه كان لدي أسباب لقتل «نيك»، لكنهم لم يتمكنوا من إثبات أنني كنت في أي مكان حول هذا المستودع في الواقع، أمكنني إثبات أنني كنت في الطرف الآخر من المدينة في ذلك الوقت قضيت المساء كله ألعب البوكر في ملهى «كوكب شارلي».

ثم جلس على الأريكة الطويلة الضخمة وابتسم لها. سألها:

- هل تمكنتِ من الوصول للمكان الذي تحتفظ فيهبالخمور حتى الآن؟ لماذا لا تعدين لي كأسًا من السكوتش مع القليل من الماء؟

- لا أعرف أين هو.

أشار بيده في اتجاه ما:

- هناك. هذا ليس بارًا للوجبات الخفيفة أيتها الفتاة الصغيرة. إنه بار خمور. و«ديان ألفيز» لديها أفضل الأنواع.

أسرعت تطيع كلماته. عندما عادت بالكأس له، شرب محتواه دون تعليق.

- ألن تنضمي إلي؟

سألها، فأجابت:

- لا أحب الخمور كثيرًا.

- أم أنكِ تريدين الاحتفاظ برأس صافٍ للتفكير.؟

- لقد كنت أفكر كثيرًا.

- لقد شرد ذهنك بسبب كل هذا عن التفكير بمشاكلك لفترة من

الوقت على أي حال، أليس كذلك؟

- نعم، لم أفكر في نفسي على الإطلاق منذ أن قرأت جريدة الصباح. لقد كنت أفكر فيك للتو.

ابتسم.

- إلى جانب التفكير باختيار فستان أزرق يناسب لون عينيكِ، صح؟

- ربما فعلت ذلك لأنني كنت أفكر فيك.

إذا كان قد فهم ماذا قصدت، فهو لم يبدِ أي إشارة، وإنما قال:

- لم أسارع بالعودة إلى هنا لأنني اعتقدت أنكِ ربما غادرتِ. إما أنكِ عدتِ إلى النهر في اللحظة التي غبت فيها عن أنظارك، أو قرأتِ جريدة الصباح، وقمتِ بتشغيل عقلك قليلًا، وجمعتِ الأجزاء الغامضة معًا.

جلست على كرسي قريب وقالت:

- إذا كنت لا تهتم بما إذا كنت سأعيش أو سأموت، فلا داعي للخوف.

ابتسم لها مرة أخرى. كانت عيناه ذكيتين للغاية. لم يبدُ أنه خشن أو قاسٍ. لم يكن يشبه رجال العصابات على الإطلاق. وأشار بلطف إلى الثوب الذي ترتديه معلقًا:

- إذا كانت المرأة تهتم بما يكفي لاختيار فستان يناسب عينيها، فإنها بالتأكيد تهتم أيضًا بما إذا كانت ستعيش أو ستموت.

حاولت ألا تغضب منه، لأنها ليس لها الحق في ذلك حقًا.

- هل اعتقدت أنني سأفضح أمرك يا «جوني»؟

سألته، وكان رده:

- ممكن.

- لكنك أنقذت حياتي.

- نعم، هذا ما يمنعك، مؤقتًا على الأقل. لو لم يكن الأمر كذلك، وكان لديكِ معلومات مهمة عن جريمة قتل، لكنتِ قدمتها للشرطة في غضون دقيقة.

- حسنًا، لم أفضحك حتى الآن يا «جوني».

- أنا أعلم ذلك. لأنه لو كنتِ قد فعلتِ، لكنت قد سمعت بهذا من الأولاد في قسم الشرطة.

- ألا تثق بي يا «جوني»؟

لم تفارق الابتسامة وجهه قط، وأجاب بهدوء. لم يكن يحاول إخافتها، فقط ذكر حقيقة:

- في عملي، أيتها الفتاة الصغيرة، إذا كنت تريد أن تكون ناجحًا، فعليك ألا تثق بأحد.

كان من الممكن أن تبكي بسبب إحباطها. لماذا لم يفهمها؟ كانت لديه خبرة كافية مع النساء. مثل «ديان»، على سبيل المثال. لا، ربما كانت هذه هي المشكلة. كانت كل تجربته مع نساء مثل «ديان».

سألته:

- ماذا ستفعل إذن، بما أنك لا تثق بي؟

- هذا ما كان يدور في خاطري اليوم يا «ريفا».

كانت عيناه قد ضاقتا بشكل طفيف، وذهبت ابتسامته، توقف عن تسميتها بـ«الفتاة الصغيرة».

- هل ستقتلني؟

نظر بعيدًا، ونظر إلى كأسه الفارغ بدلًا من ذلك. قال:

- عليكِ أن تعترفي، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها التأكد تمامًا من أنني بأمان.

اعترضت:

- لكن هذا سخيف للغاية. ماذا عن كل هؤلاء الأشخاص في ملهى «كوكب شارلي» الذين أخبروا الشرطة أنك كنت تلعب البوكر معهم الليلة الماضية بينما أنت لم تكن معهم من الأصل؟ هل عليك قتلهم جميعًا أيضًا؟

ابتسم مرة أخرى، لكنها كانت ابتسامة منهكة، من دون ابتهاج. قال:

- يبدو أنه لا يمكنني إفهامك ما أريده، صحيح؟ «شارلي» وكل الرجال هناك لديهم الكثير من الأسباب للوقوف بجانبي ومنحي حجة غياب مقنعة. لكن هذا ليس أهم شيء، أنا أثق بهم لأنهم معتادون على الكذب. هذا هو الفرق بينهم وبينكِ، ألا ترين. أنتِ لستِ معتادة على الكذب. إنه يتعارض مع كل ما أنتِ عليه. أنتِ فتاة صادقة، ولديكِ ضمير. والضمير يسبب مشاكل في عملي...

أرادت أن تذهب إليه، أن تلمسه، أن تجري بأناملها على جبهته

وتزيل كل هذا الضيق عن ملامحه. قالت بدلًا من ذلك:

- أعتقد أنني يجب أن أشعر بالإطراء إذا كان هذا هو رأيك بي.

- ربما يجب عليكِ ذلك.

- ولكن هذا سخيف للغاية، أن تتساءل عما إذا كان يجب أن تقتلني بينما تكبدت في الليلة الماضية الكثير من المتاعب لإنقاذ حياتي.

تململ في مجلسه قليلًا، ولم يرد. في النهاية نهض، وهو ما زال يتجنب عينيها، تقدم نحو البار الصغير، وسكب لنفسه شرابًا ثانيًا.

- لماذا أنقذتني الليلة الماضية؟

سألته، وعندما لم يرد أكملت:

- كنت قد أطلقت للتو النار على رجل، وكنت تحاول الهروب دون أن يراك أحد. لكن بعد ذلك قفزت في الماء ورائي. لا بد أن هذا استغرق منك وقتًا طويلًا، بينما كان من الممكن أن تهرب. لقد خاطرت بكشف أمرك فقط لإنقاذ حياة شخص غريب.

استدار، وقد أمسك بالمشروب الجديد في يده لمواجهتها. سألها:

- ما الذي تحاولين فعله الآن؟ التملق لي لإنقاذ حياتك حاليًا؟

نظرت إلى الفستان الأزرق ويديها، المنكمشتين في حضنها، وقالت:

- لا أعرف ما كان بينك وبين «نيك تافينر». ربما كان يستحق

أن يُطلق عليه الرصاص. لكنني أعتقد أنك رجل لطيف يا «جوني».

وضع المشروب الذي لم يتذوق منه شيئًا على سطح البار بحدة، لينسكب الكثير منه. ثم سار عبر الغرفة وفتح الباب وخرج. نادته «ريفا»، لكنه لم يعد. كان لديها خطة. لقد فكرت فيها بمخها الأنثوي الصغير الملتوي والمعقد خلال اليومين التاليين بينما كانت تنتظر «جوني».

توصلت لتلك الخطة وهي جالسة أمام مرآة «ديان»وحاولت أن تجعل نفسها جميلة بقدر استطاعتها من أجل «جوني». وكانت متفائلة جدًا، لأن المرآة وعدتها. لطالما كانت جميلة، وهكذا وصلت لما هي عليه الآن.

لكن الندوب كانت تختفي، ندوب الأشياء التي كان عليهافعلها ولم تعجبها. وُلد وجه أفضل في المرآة، وجه جميل تقريبًا، وجه شبه سعيد، بعينين براقتين مليئتين بالحماس، وشفاه تريد التقبيل.

واصلت قراءة الصحف بالطبع. كان مقتل «نيك تافينر» ما يزال يتصدر الصفحة الأولى. كانت الشرطة على يقين من أن القتل كان على يد عصابة، مما أدى إلى تضييق قائمة المشتبه بهم. لكن لم تحدث أي اعتقالات بعد.

عاد «جوني كون» إلى الشقة أخيرًا بعد غياب دام ثماني وأربعين ساعة. أثر مرور الوقت عليه بشكل سلبي. بدا متعبًا ومتوترًا. وقف أمام «ريفا» في مدخل الشقة عندما ردت على الجرس، ووقفا على مقربة من بعضهما لبضع ثوان.

كان هو من يجب أن يتكلم أولًا، وكان صوته أجش وأجوف إلى حد ما. وأعلن أن:

- «ديان» ستعود إلى المدينة. عليكِ أن تغادري.

أجابت بسرعة:

- حسنًا. فقط امنحني دقيقة لتغيير ملابسي مرة أخرى.

- ليس عليكِ فعل ذلك. «ديان» لن تمانع...

- لكنني أمانع. بعد أن عشت في شقتها لمدة ثلاثة أيام، لا أريد أن أشكرها بالسرقة منها.

- أوه نعم، نسيت أنكِ تتمتعين بضمير. حسنًا، تفضلي. سأنتظر.

حاولت تجاهل السخرية في كلماته، وعادت بسرعة إلىغرفة النوم. عندما عادت إلى ثوبها الأسود القديم ورأت نفسها في المرآة، شعرت بلحظة من اليأس. ألغى الفستان الأسود الوجه الجميل. كان ضيقًا ورقيقًا ورخيصًا مثل الشخص الذي لبسه. لم تحب نفسها، كيف يمكن أن يحبها «جوني»؟ ومع ذلك، لا تستطيع تغيير رأيها بشأن الفستان الآن.

عندما عادت إلى غرفة المعيشة، رفضت أن تلتقي نظراتهما. لكن بدا أنه يتجاهل الفستان، أو لا يهتم. قال لها:

- سيارتي بالأسفل.

تبعته بطاعة. ألقت نظرة أفضل على السيارة هذه المرة. كانت طويلة ولامعة وجديدة. كان «جوني» غنيًا.

عندما انطلقا في طريقهما، وقد جلست بعيدة جدًا في ركنها من المقعد، راقبت وجهه المتجهم وهو يقود سيارته، طرحت السؤال في النهاية:

- هل قررت بعد يا «جوني»؟

- قررت ماذا؟

- بخصوصي، أعني هل ستقتلني من أجل حجة غيابك؟

عض على شفته السفلى. سأل:

- أنتِ لا تمانعين أن أتحدث بصراحة، أليس كذلك؟

- قل ما لديك مباشرة يا «جوني».

- أعترف أنني كنت أفكر في ذلك.

ابتلعت ريقها بتوتر. رأته يتوقف عن الحديث، ثم يستمر بسرعة أكبر:

- حسنًا، سأقول ما لدي مباشرة. هناك شيء واحد فقط يعيقني. وهو ما قد أشعر به لو فعلتها. قتلك لن يكون مثل قتل «نيك تافينر».

- كيف شعرت وأنت تقتله؟

- لم أشعر بشيء. لا شيء على الإطلاق. ليس أكثر مما يشعر رجل عادي عندما يرى جرذًا في صندوق قمامة ويطلق النار عليه.

- ولكن سيكون الأمر مختلفا معي؟

- بالتأكيد سيكون مختلفًا.

- كيف؟

- حسنًا، إذا قتلتك، فسأكون قد قتلت شخصًا بريئًا. ولا يمكنك اعتبار «نيك تافينر» بريئًا.

- أنا لست بريئة أيضًا يا جوني.

- بل أنتِ كذلك. لا يهمني ما تعتقدين عن نفسك، لأنكِ مخطئة. أنتِ بريئة...

- لكن يمكنك قتلي أنا الأخرى، أليس كذلك يا «جوني»؟ ستبتلع مشاعرك وتتجاهلها.

- لا أعرف. هناك شيء آخر يجب التفكير فيه أيضًا. هذا الشيء يسمونه غريزة الحفاظ على الذات. إنها غريزة قوية جدًا بداخلي. هكذا وصلت إلى ما وصلت إليه.

استمرا في طريقهما. راقبته في وهج مرور المصابيح الأمامية، واستطاعت أن ترى أنه يتألم في الداخل، وشعرت بالشفقة نحوه.

- إلى أين تأخذني يا «جوني»؟

- لم لا تجلسي فقط وتستمتعي بالرحلة؟

- هل هذا ما هي عليه يا «جوني»، رحلة؟ أما يزالون يسمونها هذه الأيام بهذا الاسم؟ هل تأخذني في رحلة؟ رحلة للعالم الآخر؟

قال:

- لا تتحدثي بجنون..

- فقط أجب على السؤال اللعين يا «جوني»!

لكنه لم يرد. جلس منحنيًا فوق عجلة القيادة، عازمًا على التركيز في السير في الطريق الممتد أمامه، رافضًا حتى النظر إليها.

كانا يتجهان شمالًا. لم تكن تعرف مكانهما. كانت المنطقة غير مألوفة لها تمامًا. لكنها بدأت تنتظر الفرصة. لم يعبرا النهر بعد، لكن عاجلًا أم آجلًا، إذا استمرا في السير في هذا الاتجاه، فإنهما سيصلان إليه حتمًا. فانتظرت وصمتت. ما تزال لديها خطتها. سيتوجب أن تعتمد التفاصيل على الظروف، لكن النية العامة كانت واضحة في ذهنها. وهي لم تتخل عنها. فجأة، بعد ما بدا أميالًا، رأته. ظهر الجسر المنخفض الصغير أولًا، ثم النهر وهو يتحرك ببطء تحته، مما يعكس أضواء الشاطئ المعاكسة على سطحه الأسود. كانا يقتربان على طريق الجسر. هل ينوي «جوني» قيادة السيارة فوق الجسر؟

لا ، لم يكن كذلك في المنعطف الأخير قبل أن يصلا إلى الجسر، قام بتدوير السيارة إلى اليسار، متجهًا إلى شارع مظلم يتبع النهر كانت هذه فرصتها، وربما كانت فرصتها الأخيرة خلعت

حذاءها، أو حذاء «ديان» لتحري الدقة، ثم صرخت:

- أوقف السيارة!

كان رد فعله كما كانت متأكدة من أنه سيفعل، وامتثل للأمر مأخوذًا قبل أن تتاح له الفرصة للتفكير.

ضغطت قدمه تلقائيًا على المكابح، فاهتزت السيارة وانزلقت حتى توقفت مصدرة صريرًا عاليًا. لم تتردد، فتحت الباب، وخلال ثوانٍ كانت تركض بالفعل، بينما السيارة ما زالت تهتز، ركضت نحو الجسر.

كان هناك رصيف مرتفع للمشاة. ركضت على هذا الرصيف باتجاه مركز الجسر. بدت خطى «جوني» التي تتبعها بعيدة وراءها، لكنه أمسك بها، لأنها أرادت منه أن يمسك بها، قبل أن تصل إلى المنتصف. تشبثت يديه بكتفيها، وأوقفها، ثم دفعها بخشونة نحو الدرابزين.

للحظة كانا قريبين من بعضهما البعض في شيء يشبه العناق، كلاهما يلهث، أجسادهما في نوع من التواصل اليائس.

- ماذا تعتقدين أنك تفعلين؟

سألها بوحشية، ودفعها بعيدًا عنه قليلًا.

- أنا عائدة إلى النهر.

- هذا ما اعتقدته، أيتها الحمقاء!

- هل تفضل قتلي يا «جوني» على أن أقتل نفسي؟

كان سؤالًا لم يستطع الإجابة عليه على الفور، واغتنمت

الفرصة لتخليص نفسها تمامًا من ذراعيه. عندما تحدثت إليه، لم تكن تمثل أو تتظاهر. كانت الكلمات صادقة وحقيقية:

- لماذا قمت بإخراجي من الماء في المقام الأول يا «جوني»؟ حتى أقع في حبك؟ هذا ليس غريبًا، أليس كذلك، فتاة تقع في حب رجل أنقذ حياتها؟ ولم أغير رأيي بشأنك يا «جوني»، عندما اكتشفت أنك قتلت «نيك تافينر». لقد كان عدوك. كنت تدافع عن وجودك عندما قتلته. لم تكن جريمة قتل. لم يكن قتلًا في نظري على أي حال. ولكن بعد ذلك كنت خائفًا يا «جوني»، خائفًا مني. لقد فهمت ذلك أيضًا، لأنه لا يمكنك أبدًا معرفة مدى حبي لك، وأنني أفضل قتل نفسي على إيذائك. هذا ما أريد أن أفعله يا «جوني». أريد أن أقتل نفسي حتى لا تخاف بعد الآن. لكني لا أريدك أن تقتلني. فكما قلت، لن يكون الأمر مثل قتل «نيك تافينر». لن تتخطاه أبدًا. لأن لديك ضميرًا أيضًا يا «جوني»، وسأظل عبئًا على ضميرك لبقية حياتك. لذا اتركني أفعل ذلك بنفسي يا «جوني». سنعود إلى حيث بدأنا، هذه المرة فقط ستمر وكأنك لم ترني قط. أتفهم يا عزيزي؟ يا حبيبي «جوني»، أنا أحبك كثيرًا.

وقبل أن يتمكن من الوصول إليها، قفزت على الدرابزين. فوق السور، ثم سقطت!

لم تكن المسافة بعيدة لأنه لم يكن جسرًا مرتفعًا، لكنبدا الأمر وكأنه سنين قبل أن يأتي الماء لمقابلتها. تسببت صدمة ارتطام جسدها بالمياه بخروج الهواء من رئتيها. وبينما جسدها يشق طريقه عبر الأعماق السوداء، ابتلعت بعض الماء، وأرعبها ذلك لدرجة جعلتها تبذل جهدًا للتجديف مرة أخرى إلى السطح.

لم تكن تعرف كيف تسبح، كانت الحركة غريزية في البداية. ثم شعرت بالهواء مرة أخرى، وتنفسته. ورأت السماء مليئة بالنجوم الساطعة. ظهر رأس وكتفي «جوني» هناك على مبعدة، بينما كان يميل فوق السور ويحدق بها.

لا، لن تناديه. أرادت أن يكون رد فعله نابعًا منه بالكامل. لقد أثبتت حبها له. وكانت تعلم، في أعماق قلب المرأة، أن «جوني» يحبها. لم يكن يخشى سوى التهديد الذي كانت تمثله. لكنها الآن وضحت له عمليًا أنه لا يوجد تهديد. يمكنه أن يحبها بأمان. هذه المرة، عندما يقفز وينقذها، سيكون لها معنى حقيقي. انطمست النجوم لبضع ثوان بينما اجتاح التيار دافعًا «ريفا رينارد» تحت الجسر. عندما ظهرت على السطح مرة أخرى، كان «جوني» يتكئ على هذا السور أيضًا. كان وجهه يتلألأ باللون الأبيض والباهت في ضوء النجوم، لكنها لم تستطع قراءة التعبير المرتسم عليه. كل ما رأته هو قيامه بخلع معطفه واستعداده للقفز مرة أخرى نحو المياه. نما التيار أسرع بتلك اللحظة، انحسر وجه «جوني»، وأصبح مجرد ذرة، ثم غير مرئي.

للحظات، لم يكن هناك سوى النجوم.

أغمضت عينيها وغمرها شعور غريب بالاستسلام. وفي اللحظة التالية شعرت بذراعين قويين يمسكانها!

- حمقاء! افترضي أنني لم ألحق بكِ بالوقت المناسب!

سمعت صوته على مبعدة كأنه قادم من عالم آخر. ابتسمت بإنهاك مجيبة:

- لكنك لحقت بي. كنت أعرف أنك ستفعلها.

وهنا دوى صوت رصاصة أخرى، مشابه لصوت الرصاصة التي دوت بتلك الليلة منذ بضعة أيام!

وشعرت بعدها بجسد «جونيِ» يصبح أثقل فجأة. سمعت صراخًا آتيًا من الأعلى. كلمات متداخلة. كل ما ميزته منها هو:

- ظننت أننا لن نعرف أنك وراء مقتل «نيك»!

شعرت بالفزع يغزوها. ومع فزعها شعرت بجسد «جوني» الذي يحتضنها يزداد ثقلًا.

- لا تنسَ أن تنقل له تحياتنا أيها القذر!

لكن «جوني» لا يرد. لا يصدر أي صوت أو حركة. نظرة واحدة لوجهه وسط الظلام المخيم أعطتها الإجابة. صعب على المرء أن يرد بينما هذا الثقب القبيح الذي ينزف دمًا يتوسط جبهته، أليس كذلك؟

ثم شعرت بالماء البارد يدخل فمها. يغمر عينيها ووجهها وروحها شعرت بالماء البارد الداكن يحيط بها، بهما بالأحرى.

ماء بارد كالجليد... لكنْ مُرحِب بالجسدين الذين التحما سويًا في رحلتهما للأعماق. على الأقل سيظلان سويًا للأبد هذه المرة!

*****